﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[النساء: ٣٢].

المعنى الأصلي لهذه الآية متعلق بقسمة المواريث بين الرجال والنساء، إلا أن بعض الصحابة تأول معناها العام ، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: «لايتمن الرجل فيقول: ليت لي مال فلان وأهله، فنهى الله سبحانه عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله».

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: «لاتتمن مال فلان ولا مال فلان، وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال»[1].

ونهى النبي ﷺ من التقليد الأعمى، دون ما روية من فكر فقال في حديث:

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «لا تكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ولَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا»[2].

ومعنى إمعة: أن يقلد الناس في القول أو الفعل .

وأخيراً فإن التوجه العام في الأمة الإسلامية القائم على الدعوة والجهاد في سبيل تبليغها للإنسانية جمعاء، وحماية الأقليات الإسلامية من تهديد أمنها وعقيدتها من جانب بعض من الدول، كل ذلك يجعل الأمة في حالة من الاستنفار الدائم، الذي لا يجد معه المسلم الصادق مجالاً للترف والتلهي، وتكون مشاعره مشدودة إلى شرف الجهاد العظيم الذي يتسامى بشعور صاحبه فوق كل ملذات الحياة، وخاصة الكمالي منها.

دور المشروعية الإسلامية في الحد من المبالغة في الاستهلاك:

والمشروعية الإسلامية بتوجيهاتها، تحول دون سقوط الأمة في دائرة الاستهلاك المنفلت،لأنها تحسم الموقف بتقرير حرمة الإنتاج غير المشروع، والذى عادة ما يكون مدخلاً للإسراف والتبذير وتبديد الطاقة الإنسانية للأمة، وبذلك فإن «ضوابط الاستهلاك والإنتاج الإسلامية محققه للرشد الاقتصادي، وتجعل العمل بمقوماته التزاماً روحياً هذا المبدأ تفريع آخر هو الرجل الاقتصادي.

---

١) الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى – الدر المنثور – مرجع سابق – صفحة ٥٠٧.

٢) حديث مرفوع متصل رواه الترمذى فى سننه – كتاب البر والصلة عن رسول الله – باب ما جاء فى الإحسان والعفو

ويعرف الرجل الاقتصادي بأنه الذي يسلك سلوكاً اقتصادياً رشيداً، والرشد الاقتصادي الذي يلصق به يعني أن هذا الرجل يحصل على أقصى منفعة من دخله إذا كان مستهلكاً، وأكبر ربح إذا كان منتجاً، وإذا كان سلوكه غير ذلك فإن علم الاقتصاد يعتبره غير رشيد اقتصادياً.

وعندما يتقرر في الاقتصاد الإسلامي أن الرشد الاقتصادي يرتبط بالمشروعية حلالها أوحرامها ، فإن النتيجة التى تترتب هى أن تحليل نظرية المستهلك ونظرية المنتج سوف يثار فيه الاضطراب والتحليل البياني والرياضي».

وضرب الدكتور رفعت العوضى مثلاً باستثمار مشروع يحقق ١٠٪، مقارناً باستثمار في إقامة بار للخمور، يحقق ٥٠٪ .. وعلق بقوله «تقول كتب الاقتصاد لهذا المستثمر أن الرشد الاقتصادي له هو أن يستثمر ماله في فرع النشاط الذي يحقق له معدل ربح مادي أكبر، واقامة البار يفيد على المستوى الفرد ولكن يدمر الجماعة وهذا هو الفرق بين الاقتصاد الفردي، والاقتصاد الإسلامي»[1].

وهكذا ينقذ الإسلام الأمة من السطحية الحضارية والمظهرية الاستهلاكية كي تركز اهتمامها في عمق التحول الحضاري المطلوب من علم .. وفكر .. وتكنولوجيا ملائمة .. ومثابرة على جهاد لا تهدأ شوكته إلا بعد إبلاغ كلمة الله وهديه إلى الإنسانية جمعاء.

١) الدكتور رفعت العوضى – من التراث الاقتصادي للمسلمين – رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة – ص٢٨